

... والابناء يضرسون

جاءني صوتها عبر اسلاك الهاتف موهنا مثقلا بنشيج مكتوم . عادل مريض يريد ان يراك . . .

وعادل صديق عزيز منذ ايام الاحلام الملونة . . . ايام لم تكن بيروت إلا بيروت واحدة . ايام كانت جامعتها الوطنية - على ضيقها - يتسع صدرها لنقاشاتنا ومشاكساتنا واهواننا , حتى إذا ضاقت بنا لفظتنا فنتمدد هموما واحلاما وخيبات فوق الارصفة المجاورة , الاونسكو , المزرعة , أبي شهلا , الرملة البيضاء . . . حيث تمتزج حواراتنا بزعيق ابواق السيارات , بتأفف السائقين . بنداات الباعة المتجولين المحشورين في زحمة السير لتمتصها رمال الشاطئ الذهبية مع ما تمتصه من زبد الامواج

كنا على اختلاف مشاربنا يجمعنا قاسم مشترك هو , التأفف من الوضع القائم , سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وحتى اخلاقيا . كلنا متحمس للتغيير , ولو ان الرؤية المطلوبة تختلف من فئة لاخرى . كلنا يحكمه هاجس أعلاء شان هذا الوطن والنهوض به للحاق بالركب الحضاري .

كان عادل يختلف عنا بحس فطريّ لالتقاط الخطأ وتجسيمة ايام نكون مساقين بعاطفة او تيار ما . صحيح انه كان على عقيدة سياسية يؤمن بها ويمارسها من خلال انخراطه في احد التنظيمات , إلا انه لم يكن الخادم المطيع ولا المنفذ الاعمى لما يملى عليه , كان يمتدح الفكرة الحسنة حتى ولو جاءت من اقصى اخصامه السياسيين , وينتقد الاخرى مهما بدت لنا براقة وحماسية إذا لم يقننح بها عقله . وكنا منقسمين تجاهه . منا من يراه مضطرب الرؤيا غير قادر على تحديد طريقه بوضوح واخرون يرون فيه صوت العقل البرغماتي الخلي من اي نسائم روحانية . قليلون هم الذين رأوا فيه عاطفة وطنية خالصة بعيدة عن اي هوى , مجردة من اي منفعة . اما انا فقد قبلته كما هو وكان اكثر ما شدني اليه انه كان يمارس وطنيته بالغريزة البكر .

كعادته, كورنيش الزرعة, اشبه بمراب للسيارات منه الى معبر بين منطقة واخرى. ذكرني جامع "عبد الناصر" بتلك التظاهرات الحاشدة التي قامت لتنصب غضبا لاهبا على راس الحبيب بورقيبة يوم زار بيروت داعيا الى محاورة اسرائيل . يومها قال عادل بوقار لا يتناسب وسنه : اقتراح جدير بالدراسة . هنا على مدخل هذه البناية حيث كان مقر منظمة التحرير , صعقنا خالد عندما قال في انطلاقة "العاصفة" : طفل عزيز مولود قبل الاوان . يومها اقمنا الدنيا على راسه ولم نقعدها

حيرنا عادل, فمواقف كهذه كانت بلغة ذلك الزمان تصنف صاحبها "رجعي" او "سلبى" أو "حاقد", في حين كان هو اكثرنا حماسة لعقيدته , واول المتظاهرين والمعرضين ضد اعدائها , كما انه كان اول من حمل بندقية صيد ووقف في الليالي القارسة البرد , الشديدة الحر والرطوبة حارسا لرئاسة التنظيم , وكان اكثر الطلاب حماسا ونشاطا في معاركهم الانتخابية لتفوز لائحة الحزب

كم تغير عادل بعد حرب حزيران! . . . اعتزلنا اعتزال واصل , اختغت النبيرة الحماسية من كلامه , أمسيت اقرا التشاؤم الممزوج بالغضب في صوته وعينييه , وإذا ما سالته عن نشاطاته السياسية يقول - تساقطنا يا اخي . تركناها لغيرنا . راح دورنا . جاء دور الشباب الصغار . . . وإذا ما طال الحديث كان يقول

- هراء ! ! ! . . . كله كذب . المحازبين لأي عقيدم انتموا أناس محدودون , مثل الفرس باللجام يرون الامور من زاوية واحدة فقط . يرددون ما تمليه عليهم منشورات الحزب دون تفكير . إنهم يخدمون الشخص لا القضية ويتوهمون العكس . يخدمون ذلك الذي في اعلى السلم وهذا بدوره يخدم مصالحه الشخصية , فان حققها كان يفوز بمنصب او رتبة يرميك . . . ياكلونك لحمه ويرمونك عظمة

عند تقاطع الكورنيش بمار الياس وصلت الازمة حدها الاقصى انطلقت الابواق وعلا السباب فعلت حرارة سيارات وانطفات اخرى وخرج سائقون من سياراتهم تاركين ابوابها مشرعة رافعين اصواتهم يلومون هذا وينتقدون تلك . لم يضايقني الامر الا بقدر ما أخر وصولي الى مستشفى الجامعة الامريكية , فقد انقضت سنوات نسيت خلالها امر مثل هذه الزحمت الخائفة ولكنني ما نسيت مطلقا انني عند كل لقاء بعادل كنا نتكلم ونتكلم وكان احدنا مصاب بعطش صحراوي مزمن وقد وجد فجأة بثره . كنا نتكلم في كل الامور : سياسية , اجتماعية , عامة , خاصة , نختلف نتفق , يعلو جدالنا . يشتم احدنا الاخر . ولكننا لم نتوقف يوما عن الاحسلس بحاجة كل منا الى الاخر , ولا عن متعة كوننا سوية

هنا , امام حلويات الجنود , وقفنا لساعات نناقش فلسفته في تقييم الماضي , فانا لم اكن لوافقه فلسفته تلك , فهو يرى في كل عمل قام به جيلنا أياما ضائعة . مجرد هراء . يحتقر هذه التبعية السياسية في حياتنا اللبنانية خاصة , والعربية على وجه العموم , كان يقول : تحجر , جمود , فابن الشيوعي شيوعي , وابن القومي قومي , وابن الكتائبي كتائبي . . . إننا نتوارث معتقداتنا السياسية كما نتوارث الوان جلودنا وملامحنا . لماذا نلقن ابناءنا عقائدنا السياسية قبل ان نلقنهم النطق باسمائهم ؟ لماذا يغضب واحدنا ويكاد يتبرأ من ابنه لو انضم الى عقيدة غير عقيدته او دين غير دينه ؟ لماذا نستعبد ابناءنا وهم بعد انطافا في الارحام ؟ لماذا لا نترك لهم حرية الاختيار ؟ . . .

- وما العيب في ذلك ؟ فانت تعتنق من المعتقدات ما يتراءى لك انه الافضل , لذلك تسعى لتجنيد الانصار لمذهبك ومعتقدك فلماذا لا تبدأ بابنائك ؟

- مبدأي ان ابعد ابنائي عن كل زيف . السياسة زيف , التعصب الديني زيف . حتى تاريخنا كله زيف . لن ازرع في عقولهم أي زيف . لا عروبة , ولا اسلام ولا اممية , لا شيء من هذه المسماة قيما والتي اضعنت شبابي في سبيلها

- ونتركهم للفراغ ؟ اوتظن ان هذا ادعى لسعادتهم ؟

- لو لم اضع كل جهودي في هذا الهراء لكننت الان في وضع اجتماعي ومادي افضل . كل طاقات الشباب وقدراته راحت هباء

- انت مخطئ يا عادل . إنك بعملك هذا تترك ابناءك للاهواء تعصف بهم فيتيهون . الانسان بحاجة الى إيمان ما , الى هدف يسعى اليه , الى فكرة نبيلة . فان لم يكن إيمانا سياسيا فليكن دينيا .
- إلا هذه . . . العقائد الدينية اصل بلاتنا . سبب نزاعاتنا . ذريعتنا للتخلف . . .

سنوات مرت لم التق خلالها عادل , وإذ قدر لي لقاءه بعد طول غياب انفجر شاكيا متوجا

- سرقوه مني . . . بلفوه . . . لعبوا بعقله . . .

كان يتكلم عن ابنه البكر الذي انضم الى احد الاحزاب المحلية وانخرط فيها بحماسة انسته واجباته المدرسية

- انا الملام في ذلك . تركته لقمة سائغة لهم , لم اعلمه الاعيبيهم . لم احصنه ضد تعاويذهم فمارسوا

شعوزاتهم في عقله البريء . . . تصور ! ! . الحر الديمقراطي مرة واحدة ! ! .
- ألم تناقشه بالامر , ألم تبد اعتراضك ؟
امتلاً وجه عادل غضبا يائسا وراح يكييل الشتائم
- ابن الكلب . يلومني . يتهمني بالتقصير . يقول انني لم اقم بواجب الابوة نحوه . . . يقول انه يشعر بالدونية
امام زملائه
- كل له جنور ينطلق منها , موروث يتكئ عليه , إلا انا ولدت في الفراغ . من لم يورثه ابوه عقيدة سياسية
اورثه اخرى , دينية مثلا . إلا انا . . . لا ماض . . . ولا جنور . . . مولود في الفراغ
- ابن الكلب ! ! . يظن هذه الشعارات البراقة ذهابا . يظن انه سيقضي على كل الظلم والاضطهاد بهذه
العبارات التي يرددتها ! ! . . . لم ينفع معه اي كلام . مسحور بشعاراتهم , مشحون بالامال الكاذبة , لوثوا دمه ,
افسدوه

وعلمت فيما بعد ان مرض أرسال الابناء الى امريكا بقصد الدراسة الذي تفشى مؤخرا في بيروتنا , قد طاولت
هوبه صديقي عادل . وكنت كلما سنحت لي فرصة لقاؤه وسؤاله عن ابنه يعتدل في جلسته ويتنفخ صدره
اعتزازا وفخرا
- ربحت صفقة العمر يا صديقي . . عبودي مخلوق اخر في اميركا , كل من عرفه يمتدح اخلاقه . كل رسائله
مليئة بعواطف الاشتياق والحنان والامتنان . كل كلمة يكتبها تعبر عن حبه لاهله ووطنه وتحرقه للعودة باسرع
ما يمكن الى مهد الطفولة وحضن الامومة . . ضربت عصفورين بحجر واحد . اعدته الى رشده قبل فوات
الوان , وامنت له شهادة محترمة . هانت في سبيل هذه النتيجة المشرفة كل التضحيات . ما هم لو خسرت
بيتا او قطعة ارض او كل المنخرات , فكسب ابن أغلى المكاسب جميعها

- انتحيت بام عبودي جانبا : كيف حصل هذا

وقرات من خلال دموعها ما لم يستطع لسانها البوح به : ابلغهم خالد انه عائد في ذلك اليوم من اميركا برفقة
شهادة جامعية محترمه . طار الاب فرحا وساق العائلة بجميع افرادها لاستقبال قررة العين على المطار . كاد
عادل يسابق الامومة شوقا للقاء ابنه المهندس العائد من الولايات المتحدة , ولشد ما كانت دهشته عندما راي
امامه رجلا ملتحميا بجلباب

لم يرافق عادل ابنه الى البيت بل نقل الى مستشفى الجامعة الامريكية لاصابته بنوبة قلبية مفاجئة

... والابناء يضرسون

وقف وفي عينيه خشوع الاف السنين أمام سرير الاب الممدد في غرفة العناية الفائقة . حاوره بصمت رددته
الخلاات المجاورة والبعيدة

- لماذا تركتني أرضا مشاعة ؟ ... لماذا تخليت لغيرك ببذري ويحصني على هواه ؟ ... لماذا لم تزرع فيّ
ما يزرعه الاباء في ابنائهم ؟ ... لماذا حرمتني من إرث استحقه دون ذنب اجنيه ... لماذا شرّعتني لكل
الاهواء ... لماذا ؟ ... لماذا ؟ ...

- أردتك عجريا لا تقيدته حدود ... يعبّ كل المناهل ... لا عقائد ... لا التزام ... أردت لزوحك إنفلاتا من هذه
المدنيّة الجوفاء ولعقلك انعتاقا من كل الموروثات البالية ...
- ولكنك , بعملك هذا , دفعتني إلى عكس ما رسمته لي ... كيف تريدني جسدا محشورا في قوالب الاسمنت ,
أسمع تطيلهم ليل نهار يعزفون عقائد ومقدسات ومحرمات , وابقى على عذريتي ! ...
- لم اشأ ان اعطيك تجربة مقننة تتناولها سهلة ... وجبة سريعة ... لا طعم فيها ولا عذوبة اكتشاف ! ...
- واعتبرت انك بعزل تجربتك عني تعزلني عن التساؤل للأكبر ! ... ولكن ها هو حيّ بن يقظان ينبت فيّ ...
يمزق قماطه ... يصل الى الحقيقة بطرقه الخاصة ... أهذه ما يزعجك ؟ ! ...
- يحيرني قفزك من شاطئ الى شاطئ مقابل بمثل هذه السرعة وبمثل هذا الموج الهادر ...
- حديقة غير مسيجة , عبث بها العابثون ... بنروها على هواهم ... في موسم ما زرعوها حنطة , وفي
موسم اخر زرعوها قنبا ...

كانت مدرسة الحي , على ضيقها , الحنطة البكر التي نمت فيّ . زفاق محظوظون بإرث اغنى رفعوا شعارات
خطفت ابصاري وعانقت شفافية زوجي المتعطشة للعدل والمساواة والحرية وغيرها وغيرها من قيم براءة
عالية الرنين ... جرفني تيارهم ... غصت في بحرهم ... ولكنني لم اكن لاحسن السباحة - لان احدا لم
يعلمني إياها - فبقيت قريبا من الشاطئ ... وكانت رائحة النتن تزكم انفي ... نتن المدينة كله ... حثالات .
.. جيف ... أدران ... قبور عفنه ... كلها كانت هناك .
وفيما انا اتعلم العوم للابتعاد عن الشاطئ والغوص في الاعماق ... تدخلت ... انتشلنتني بغضب لترميني
على شواطئ بعيدة .

وفي بلاد هي راس الهرم الحضاري تعلمت ان حضارتنا زيف , مساواتنا تكاذب وانسانيتنا تغتصب
صباح مساء ... فهربت ... تفوقعت ... عدت الى شرنقتي ... احسستني غريقا للمرة الثانية وانما على
شواطئ اكثر عهرا ... لطمتني امواج نلك الشاطئ العاهر فاصابتني غيبوبة لم اصح منها إلا وانا شرنقة
تحتمي من العواصف بالاختباء داخل حريرها
- ألم يدر في خلدك ان هذا الحريز هو كفنك ؟ ! ...
- أراه رحما يحتضن النطفة ... يخبئها في الظلام ... يخفيها عن اعين العابثين ...
- إنني اري ان اختبائها سوف يطول , وربما اجهضت قبل اوان النضج
- مهما طال هذا الاختباء فالولادة لا بد اتية ... قد تكون الحاضنة فرسا ... ولكنها لن تجهض ... لن تجهض
مهما طال اختبائها فهو لا بد ات ... لا بد ات ...
- لكل منا لغته يا بني ولن نلتقي ... لقد فرقت بيننا قرون من اليأس والاحباط والفراغ والاماني المجهضات .

عين صابتنا

إلى سمر

دخلت عالمنا على حين غرة , بعثرت ما كان معلبا من ثوابت ومعتقدات فوق رفوف وعينا منذ عهد عاد. . . بعد دخولها لم تعد الأمور على ما كانت عليه . لماذا حصل هذا ؟ لماذا هفت قلوبنا الى كل حركة وكل ساكنة فيها لست ادري . ابي يغضب وينهاننا عن التفوه باسمها . اخرجوها من افكاركم . هي ضلالة وشر . ولكنها دائما بيننا اقرب من رفة الجفن , وان كان لا يزال في انفسنا خشية من ان نلهج باسمها على الملا , إلا انها دائما بين اي اثنين منا تلاقيا على سمر .

كلنا مولود في استراليا , كلنا ترعرع في سدني بالذات , ولكننا في الحقيقة ما فارقنا جلود اجدادنا يوما . فخورين بحسبنا ونسبنا . نكن احتقارا اخرس لهذه المدنية الغربية عن نهجنا ووصايانا . قانعين بكل ما يرسمه لنا الاب فهو ادري بمصلحتنا .

قضى رأيه , الذي لا يعلوه رأي , ان اکتفي من الدراسة بالشهادة الثانوية فلم اطمع بمزيد . لقد صور لي ان هذا يكفي للفتاة العاقلة , بنت الاصول , فرضيت . ما وعيت امي الا قابعة في مطبخها , ولم ينته الى وعي أنه دار يوما في خلدنا ان نتقدي بجاتها او حتى ببعض بنات جاليتها , فتسعى او حتى تطالب في نشاط خارج دائرة العمل المنزلي . قانعة راضية باقتفاء اثر امها وجنتها في الانصباب على تأمين حاجياتنا وكسب شوط السبق في اتقان الاطيب والاکثر تعقيدا من انواع الطعام . تحرص على تلبية طلبات كل فرد في الاسرة , لا تشكو ولا تتنمّر ولا حتى يغريها ما حققتة نسيبتها بهية من امتياز على زوجها في الونة الاخيرة . "سدني وتاج راسي ابو فيصل".

من جهتي ما طالبت يوما بالخروج الى العمل كمعظم زميلاتي . . . طلباتي الاساسية مؤمنة . تصطحبني الى السوق كلما دعت الحاجة . خروجي من البيت منظم مقنن , فما انا سجيئة ولا في حل متروك لي الحبل على الغارب . قد اساهم في مساعدة اخوتي الصغار في بعض واجباتهم المدرسية , او اعمل "بابي ستر" لابناء خالتي عندما تدعوني الى ذلك - طبعا بدون مقابل - فالمقابل ما زال عيبا في قبيلتنا نَعف عنه ظاهريا حتى ولو تحلبت افواهنا شوقا لمامسته . قد اذهب مع بنات الاعمام او الاخوال لمشاهدة مسرحية او فيلم كثر الحديث عنه , ولكن بعد ان نعد لذلك اياما او حتى اسابيع ونقدم عرضا مفصلا "للجهات المختصة" عن الفيلم وموضوعه ومشاهده ومتى واين يعرض وكل التفاصيل المهمة وغير المهمة . لم يكن الامر ليزعجني فقد اسلمت له القيادة واستكننت هادئة البال , بعيدة عن وجع الراس . رضخت لكل اوامره , ما احسست غبنا ولا عنّي أن حالي خليقة بالشكوى . لا انكر انني خدشت وصاياهم , وما جال بخاطري ابدأ ان اتساءل وماذا لو اكلنا اللحم يوم الجمعة ! ! ! . . .

ثم دخلت حياتنا . . . جاء بها اخي الاكبر زميلة في الجامعة . هكذا بدون مقدمات - كما يفسر- حصل الامر بعفوية تامة . ما دعوتها ولا حاجة . . . كنا في نقاش , سرقنا الحديث , ما حسينا ودرينا الا واحنا "كدام" الباب .
-وبدك ياني "اصدك"! ! ! . . . وتدرس هندسة عمار كمان . . . مسترجه يعني . . . من "كلّة" ما حدا يردها . . .
هاي بنت فلتانه . . .

لا ! ! ! . . . لم تكن فلتانه . . . كانت ابنة عائلة محترمة متماسكة , نواتها اب وام واطفال , والاب هو

راس عشيرته دون منازع . كانت واحدة منا , لها نفس لون جلدتنا و غزارة شعورنا حتى انها تتكلم لغتنا الام بطلاقة افضل من اي واحد منا . . . اذهلتنا جرأتها . . . صدمتنا . . . لو كانت شقراء الشعر زرقاء العينين لكان الامر مختلف . لو انها ممن يرطنون في كلامهم . . . لو انها مولودة في هذه الحضارة . . . لو انها من عائلة مفككة . . . لو انها تعيش بعيدة متمردة على اوامر القبيلة . . . لو ان فيها شيئا من هذا , لاختلف الامر

أما ان تكون سمراء الجلدة , عسلية العينين , لم تات الى استراليا الا قبل سنوات لا تتعدى اصابع اليد الواحدة . . . ومن قرية لا تبعد سوى بضع مئات من الكيلومترات عن قريتنا , ففي الامر عجب . . .

تذهب الى الجامعة , تعود في ساعة متأخرة . اختصاصها مما هو مقصور في عرفنا على جنس الرجال . لها زملاء يزورونها وتزورهم في بيوتهم . . . فهذا مدهش وغريب ! ! . . .

. . . أعجب اخي الصغير بجداثلها الكثيفة المصفورة الى الوراء وبِعلاقة المفاتيح الزئبقية التي لا تفارق يدها . وكانت امي تطلق شهادات خافتة وهي تسمعها تناقش هؤلاء الشبان - ابنها ورفاقه - حقوق الشاذين جنسيا . ومسالمة الموت الرحيم . . . وكانت تعتريني دهشة وانا اراها تقارع هؤلاء الرجال , كل واحد يفصل منها ثلاثة فيعلو صوتها اصواتهم دون ان تحس ازاءهم باي دونية . تصر على رأيها تحارب لاثباته دون مواربة او مجاملة كاذبة .

وانتهت زيارتها ليبدأ شيء ما داخل حظيرتنا . بدأ منطق والدي يبدو لامنطقيا . فاسواره التي قضى ثلاثين عاما في استراليا يحصنها ويعلي مداميكها طاولها اهتزاز . . . صرت اتساءل عن سر خنوعي . . . اصبحت اكثر تبرا وتأنفا . لماذا لا اكون مثلها ! ! ها هي متألقة كزنبقة حقل . واثقة لا يجفلها زميل ولا تقعدها الاقاول . ما همها ما يدور في ذهن الآخرين عنها , خائضة في هذه المدنية حتى الثمالة دون ان تخدش انيابها الشرسة سوى القشرة المهترئة من أصلتها.

وما عادت الايام كسابقاتها . . .

قلت : اخرق بروتوكولهم وارفض اصطحاب الجوقة الى الكنيسة هذا الاحد , فثارت ثائرتة . . . ورأيتني اكسر الشر واذهب , إلا ان ذهابي هذه المرة كان مختلفا . . .
أصّر اخي على عدم تناول الطعام الذي اعدته والدتي فعلا صراخه , وراح يشتمنا جملة وتفصيلا , تهيب الصغير وسكت على مضض بعد ان وشوشت في اخنه شيئا ما .
وتساءلت امي عن سبب قبوعها الدائم في البيت , فأرغى واربد وكاد يصاب بنزحة قلبية , فاستكانت ولكنها اصبحت بعدها دائمة التنمر والتشكي . . . لم تعد ترتب غرفنا عن رضى بل صارت تطلب منا باصرار غاضب ان نقوم نحن بهذا العمل . . . اصبحت تنهرنا اذا ما طلبنا منها كوب ماء او كوب عصير .
كف " فيصل " عن الطلب اليّ أن أكوي له قمصانه , وصار يحضر سندويتشاته بنفسه كل صباح . . .
وضرب والدي كفا بكف وقال بصوت فجيعائي ناحب : " . . . عين صابنتنا "

كاريكاتير (١)

خطوات وتدف عتبة العقد الخامس . . . تصاييها مختلف كما كانت في الماضي مراهقتها. يثير فضولها أي جديد في عالم اليوم الزاخر بالمستجدات التكنولوجية . تريد أن تثبت لنفسها أولا , أن لها عقلا شابا قادرا على مسابرة الركب الحضاري . هدفها اليوم هذا الجهاز العصبيّ الرابض في كل ركن أينما اتجهت (الكمبيوتر), من أكبر دائرة في الدولة الى اصغر متجر , حتى صالون الحلاقة - بلا صغرة - يعمل على الكمبيوتر. . . وقررت ان تغزوه .

تستعين باصغر ابنائها , تتحمل عليائته على مضض, . . . يضايقها هذا الوضع المقلوب. . . الإبن معلما !! .! . . تتعرف منه على المبادئ الأولية التي يركز العمل عليها . تستخلص , بعد لأي , ان الكمبيوتر أرشيف كبير : برامج وملفات وحقائب وما إلى ذلك.

قررت أن تبدأ بما يسمونه (مصنع الكلام) word processing خطوة ... اثنتان . . . ثلاث . . . واصبحت جاهزة للبدء بالتنفيذ.

شكرت الصبيّ , واعتذلت في جلستها . غمرها اعتزاز ... كم هي سعيدة ... وكان اول عمل بدأته هو كتابة رسالة ألى صديقتها رانية في بيروت . ستشرح لها ما في صدرها من مشاعر وهي تغزو هذه الحادثة , وأي انتشاء يغمرها إذ استطاعت ان تسامر الركب الحضاري . وتمادت في أحلامها : غدا تدخل سوق الإنترنت . هذه السوق التي تضع العالم بين يديك , تعرفك على أحدث الإكتشافات من مشرق الأرض إلى مغربها , تقدم لك الحضارة العالمية من طريفها الى تليدها بكبسة زر. غدا سيتسنى لها قراءة ما يحلو لها من كتب أو جرائد أو أي معلومات ترغب بها دون عناء البحث في المكتبات وإرهاق النفس والجيب... لجمت خيالها وبدأت :

صديقتي العزيزة رانية

لم يطل بها المقام , فما إن وصلت إلى منتصف السطر الثالث من رسالتها حتى بقدرة قادر غاب من امامها ما اجهدت النفس في تحريره على الشاشة . كيف حصل ذلك؟! ...! ما الذنب الذي اقترفته حتى اغضبت الحروف فتوارت! . . . لا تدري!! . . . ما العمل؟! . . .!

اخذت تضرب على غير ما هدى . . . تجرب ازرازا وأزرار. . . وراحت تتوالى امامها صور واشكال محيرة . . . تجرب بعضها فيقودها الى تعقيدات اشد وأدهى , تضيق في زحمتها , لا تستطيع التقرير في شأنها . وتغرق في لجج من الحيرة والارتباك

يرن جرس الهاتف , فتتجاهله . . . يصر على الرنين وتصر على التجاهل , يستفيق الزوج من قيلولته غاضبا مش سامعه؟! . . .!

...

- عايدته على الخط

....

وتسمعهما يتكلمان , وتطول المكالمة . . .وتصلها من حين الى آخر عبارات منتهكة فلا تبالي . . . وترن ضحكات يتردد خلالها اسمها . . . الا ان ما هي فيه من هم اقوى من اي فضول نسائي حتى ولو كانت هي نفسها موضوعه

تقترب منها ابنتها الكبرى وتسال أن كانت بحاجة لأي مساعدة , إلا ان كبرياءها يمنعها عن قول نعم صريحة فتتصنع اللامبالاة , إلا ان الإبنة من ناحيتها قد رأتها فرصة مناسبة لإظهار براعتها والقيام بدور المعلم والمرشد على من اتخمتها طوال عمرها في لعب هذا الدور

بلحظة تعيد الإبنة الوضع إلى سابقه وتشرح لها معنى بعض التعابير . وتعود هي الى متابعة عملها . لم يطل الامر إلا دقائق حتى برزت لها مشكلة أخرى . اختفى نصف الصفحة عن الشاشة . وبعد جهد ومحاولات عشوائية حيناً وهادفة حيناً أخر عاد الوضع الى ما كان عليه . . . تنفست الصعداء . لقد كفاها الله ذلّ السؤال

همهمات وضحكات خافته تسري في الغرفة المجاورة . . . لا بدّ أنهم "يقطعون فروتها" هؤلاء العفاريات . ولكن لا بأس سنتثبت لهم أنها لا تقل عن أحدهم براعة في هذه التكنولوجيا العصرية . ساعات معدودة وربما دقائق وتقهقر هذه الآلة اللعينة , تخطئ ; تصحح الخطأ ; ثم تقع في نفس الخطأ , وتعيد التصحيح ; مرة . . . وإثنتان . . . وثلاث . . . ترقص الكلمات امام عينيها . . . ترتعش يداها . . . يغشى بصرها ضباب يعميها عن تمييز موقع الحروف , تنهض عن كرسيها , تقصد الشرفة عل الهواء المحمل بانفاس الياسمين المجاور يساعدها على استعادة ما ارهقته المحاولة من أعصابها . . . حاولت ان تشغل بالها بمراقبة حركة المارين حيناً , وبالإنصات إلى أصوات الطيور المنبعثة من المنتزه المجاور حيناً اخر , ولكنها تفضل في إبعاد الموضوع عن ذهنها . . . تهرع إلى الهاتف تحاول ان تشغل نفسها بالحديث الى أي كان . . . تلقى بالسماعة قبل الوصول إلى أخر رقم هي بصدده . . . تعبر من غرفة الى أخرى بحطوات قلقة متوترة . . . وهم من وراء الباب يسترقون النظر ويطلقون تلك الضحكات الخافتة . . .

يتدخل الزوج مداعبا , محاولا التخفيف عنها , لا تطبيق مداعبته , يقترح شيئاً ما ولكنها لا تسمع اقتراحه , يصر على التدخل , يجلسان معا قبالة هذه الآلة اللغز ويصلان الى تسوية . واذا يتركها منصرفاً الى اموره بعد ان اطمأن على ان كل شيء على ما يرام , تعود لإتمام ما بدأت به . لقد اقلقت الباب على نفسها هذه المرة , لا تريد لإحد ان يشمت لفشلها . اسطر قليلة وتبرز مشكلة أخرى مشكلة أدهى من كل سابقتها . . . لقد تغيرت الحروف تماما . . . تضرب حرفاً فيرتسم على الشاشة شكلاً الله اعلم ما هو , وإلى أي لغة من لغات الأرض ينتمي . . . واذا أعيها الأمر نادت , وامرأها لله , طالبة النجدة . كانوا قد نسوا امرها وانغمسوا حتى الاذان في مشاهدة إحد أفلام رحلات الفضاء الخيالية . . . لم يلب احد النداء . . . عز عليها تكرار النداء , فالإستجداء ليس من شيمها , ضغطت زر التشغيل بحركة عصبية , ثم تناولت قلمها الأزرق دغدغته بحنان , وبدأت كتابة رسالتها إلى رانية , ولكن بأسلوب وموضوع مختلفين .